

كلمة العدد

بقلم : الشيخ عبدالله بن خالد آل خليفة

درس من التاريخ :
السلام والأمن هما عماد الاقتصاد المزدهر

بعد تفكك الاتحاد السوفيتي أصبح العالم على أعتاب عصر جديد فقد تغير ميزان القوى الذي كان يحكم اتجاهات كل الاستراتيجيات لدى مختلف القوى الدولية وبدأت كل دول العالم تعيد حساباتها على ضوء النظام الدولي الجديد. وإذا كان كل المحللين اليوم يجهدون فكرهم لمحاولة معرفة مسارات السياسة الدولية للحقبة القادمة وطبيعة الميزان الجديد للقوى الذي يمكن ان تقوم عليه الاستراتيجيات الجديدة فإن المؤشرات التي بدأت تلوح في الأفق تومىء الى ان الحقبة القادمة سوف تكون حقبة الاقتصاد. فميادين القتال التقليدية سوف تتحول الى الأسواق والأسلحة المعهودة سوف يتغير شكلها من الطائرة والصاروخ الى الدولار والين والمارك. وكان العالم يعود الى بدايات القرن السادس عشر أو كان التاريخ العالمي كما قال بذلك ول ديورانت يسير في دائرة. وربما كان هذا هو السبب في اننا أثرنا في هذا العدد ان نقدم بعض الأبحاث ذات الصبغة الاقتصادية والتجارية وهي تتناول العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الخليج وشبه القارة الهندية ومناطق أخرى امتدت لتشمل كل منطقة جنوب شرق آسيا بل وامتدت

شرقا الى الصين وشمالا وغربا الى اوروبا وافريقيا وذلك في وقت يعود الى القرن السابع الميلادي. وان كان التركيز يتناول حقبة لاحقة وبالتحديد بعد قدوم البرتغاليين الذين غلّفوا هجومهم على المنطقة بغلاف ديني مزيف وغلاف سياسي أكثر زيفا اذ كان الهدف الرئيسي كما يتضح من كثير من الدراسات التي عرضنا لها في اعداد سابقة والتي نعرض لبعضها في هذا العدد هو هدف اقتصادي بالدرجة الأولى. ونحن هنا نشير الى ان المعطيات التي تقدمها هذه الدراسات انما تؤكد على مجموعة من الحقائق التاريخية الهامة التي نرجو أن تكون أمام باحثينا في منطقة الخليج والمنطقة العربية وهم يتلمسون طريقهم وسط الدروب المتشابكة التي تسود سطح الكرة الأرضية في حقبتها القادمة.

أولا :

● كان الخليج وقبل قدوم البرتغاليين في بدايات القرن السادس عشر بل وقبل ذلك بوقت طويل هو قلب الاقتصاد العالمي والتجارة الدولية. وقبل ان يقود البوكيرك الأساطيل البرتغالية في أول هجمة استعمارية على الشرق، كان التجار الخليجيون يمسون دفعة الاقتصاد العالمي وينقلون السلع عبر مساحات شاسعة وصلت الى الصين خلال ممر ملقا ومورا بكوجرات ومن والى المستودعات التجارية الممتدة في أكثر من ميناء زاهر في الخليج ثم الى شرق افريقيا ومصر ثم البندقية ومنها الى اوربا شرقا وغربا .

ثانيا :

● ان السلام والأمن اساسان ضروريان لانتعاش التجارة الدولية والاقتصاد العالمي. والمتتبع لحركة التجارة الدولية عبر التاريخ سوف يجد هذا التلازم فالرخاء يعم والتجارة تنتعش عندما يسود السلام فإذا ما قامت الحرب أو تعرضت طرق التجارة للاضطرابات توقفت التجارة وخلت الاسواق وانتشر الفقر واقفرت المدن المزدهرة وخلت المستودعات العامة. وقد ساعد جو السلام الذي ساد الخليج ومعه طرق التجارة الى الشرق الأقصى خلال فترات طويلة قبل قدوم البرتغاليين على نمو الاقتصاد العالمي كله فوجدت التمور والأصواف

واللآلء والخيول العربية الأصيلة في الصين كما وجدت في اوروبا. ولبس الأوروبيون الحرير وذاقوا طعم بهارات الشرق وعطروا بيوتهم ببخوره. وشيدت البيوت والسفن في الخليج بأخشاب الساج القادمة من غابات الهند ووصل الأمن حدا لا يمكن لأبناء اليوم ان يتخيلوه مثال ما ذكره ابن جبير من ان قائد القافلة كان اذا مرض أحد جماله في الطريق أنزل حمولته وتركها في الطريق ليأخذها في طريق العودة ورغم ان الحمولة كانت غالبا من السلع الثمينة ورغم ان الطريق كان مطروقا بالمارة والقوافل ورغم ان الغياب كان يستمر أشهرا فإن أحدا لم يكن يقرب هذه الحمولة حتى يعود صاحبها فيأخذها.

ثالثا:

● ان الحرب الاقتصادية ليست اصطلاحا عصريا وليست ظاهرة جديدة جاء بها القرن العشرون أو انها سوف تكون أبرز ملامح القرن الواحد والعشرين. وانما شهد العالم ألوانا من هذه الحرب بدأها البرتغاليون عندما ارادوا باكتشاف رأس الرجاء الصالح ان يحولوا طرق التجارة وبالتالي ارباحها بعيدا عن دول الخليج والبحر الأحمر والبندقية وان يغيروا مسارات التجارة الدولية بعيدا عن طريق الحرير وطريق التوابل ليستأثروا هم وحدهم بخيرات العالم في بداية لموجة من الطمع والشرهة فتحت بعد ذلك الباب للجيوش الزاحفة على الشرق وعلى افريقيا وفتحت بابا أوسع للصراعات الدولية والحروب العالمية والاقليمية على السواء.

وعودا الى بدء نقول ان العالم اليوم وهو يودع آخر سنين القرن العشرين إنما يطل مع اواخر هذا القرن وبدايات القرن القادم على حرب اقتصادية جديدة.. فأوربا تضع اليوم اللمسات الأخيرة على كتلة اوروبا الاقتصادية الضخمة التي ينتظر ان تضم ١٨ دولة / ٣٨٠ مليون نسمة بانتاج صناعي وزراعي متميز وتكنولوجيا متقدمة وشعوب نشطة واسواق يحوطها سياج من الحماية والتكامل والتنسيق وحواجز جمركية وخطط محكمة لغزو الأسواق الأخرى ومواجهة التكتلات الجديدة. وامريكا تعمل الآن على تشكيل مجموعة أخرى ينتظر ان تضم كندا والمكسيك بكثافة بشرية توازي كثافة الكتلة الاوروبية تقريبا - ٣٥٥ مليون نسمة - والعماليق الصفر أو مجموعة

النمور اليابان وكوريا الجنوبية وتايوان وهي تعمل للاسراع في تكوين كتلة ضخمة تطرق بابها بالحاح هونج كونج بكثافة بشرية مساوية أو قد تزيد وهي تحشد كل الامكانيات استعدادا للحرب القادمة، اضافة الى كتلة الآسيان التي تضم اندونيسيا وماليزيا والفلبين وتايلاند وسنغافورة وبروناي وهو تجمع يضم ٣٠٠ مليون نسمة.

وقد يبرز هنا سؤال هام هو أين الخليج من كل ذلك ؟ بل أين المنطقة العربية كلها التي كانت في يوم ما وطوال قرون ترجع الى القرن السابع الميلادي وحتى القرن السادس عشر قلب الاقتصاد العالمي النابض ومفتاح خزائن التجارة الدولية. ان دروس التاريخ تؤكد ان الاستقرار والأمن والسلام يجب ان يكون الهدف الأول لكل الشعوب التي تعيش على الساحة.. ففي ظل هذا الاستقرار يمكن ان تلعب المنطقة دورا يعتمد حتى الآن فقط على معطياتها الحالية في مجال الاقتصاد العالمي سواء المعطيات الجغرافية أو الثروات الطبيعية. ان التفكير الجاد في هذا المجال يجب ان يتجاوز الحدود الضيقة ليطل على الساحة ككل وأن تنشط الأجهزة الاقتصادية التي ولدت في أعطاف الجامعة العربية أو مجلس التعاون الخليجي أو مختلف التجمعات العربية للبحث عن صيغة أكبر مساحة وأكثر شمولاً وأكبر قدرة على مواجهة التكتلات العملاقة التي تتكون الآن على الساحة الدولية. ان العالم اليوم على أبواب الانطلاق الى آفاق جديدة مختلفة كل الاختلاف عن الآفاق الدامية التي عاش في ظلها عبر حربين كونيتين وحرب باردة وصراعات اقليمية ضارية وشرسة اسالت دماء وفرقت صفوفاً وحطمت امكانيات وزرعت عداوة هنا وهناك. ان ملامح الغد الجديد تطرق الأبواب... أبواب الساحة العربية وان الركب العالمي على مشارف الانطلاق الى عصر جديد وعلينا أن نشد رحالنا للحاق به وإلا حكمنا على أنفسنا وعلى مستقبلنا كله بالتخلف بل بالتراجع.

عبدالله بن خالد آل خليفة